الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي بو نعامة

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسـم العلــوم الإنســانية

محاضرات في مقياس مدخل إلى الفلسفة

- **السنة أولى جذع مشترك علوم إنسانية**
- **السداسي الأول**
- **المجموعة الثانية**

أ: بن حمادة

السنة الجامعية:2022/2021

المحاضرة رقم:01 تعريف الفلسفة

الفلسفة كلمة يونانية مركبة من قسمين . فيلوس و تعني المحبة ، وصوفيا و تعني الحكمة، أي محبة الحكمة و يكون الفيلسوف هو محب الحكمة. و يعتقد أن أول من استخدم مصطلح الفلسفة هو الفيلسوف اليوناني فيثاغورس ، لكن يوجد من يرد المصطلح إلى سقراط.

.

التعريف الاصطلاحي للفلسفة: ليس من السهل العثور على مفهوم اصطلاحي واحد للفلسفة يكون جامعا مانعا، و يعد هذا أحد الأسباب التي حالت دون وضع مفهوم موحد للفلسفة. و عليه إذا أردنا تعريف الفلسفة فإننا سنكون أمام تعاريف كثيرة ظهرت خلال مسيرتها التي بدأت منذ 26 قرنا.

أولا ـ الفلسفة عند اليونان: عرفت الفلسفة لدى اليونان على الأقل ثلاثة مراحل، و في كل مرحلة كان مفهومها يتغير، فكانت قبل سقراط مهتمة بدراسة الطبيعة ثم أخذت اتجاها آخر بعده ، و في هذا الصدد يمكن الاستشهاد بفيلسوفين تجمعهما علاقة الأستاذ و تلميذه، إلا أن هذه العلاقة لم تكن كافية لتوحيد موقفهما من مفهوم الفلسفة، و أعني أفلاطون و أرسطو.

عند أفلاطون: الفلسفة عنده هي "علم الحقائق المطلقة الكامنة وراء ظواهر الأشياء"ذلك لأن حقيقة العالم عنده ليس كما نعتقد ، فما نراه بأعيننا حسب هذا الفيلسوف لا يمثل الحقيقة ، و إنما هو مجرد ظلال و صورة مشوهة عن عالم حقيقي مثالي يمكن إدراكه بالعقل و ليس بالحواس.

عند أرسطو: الفلسفة عنده "علم المبادئ و العلل الأولى للوجود "، أو هي "علم الوجود بما هو موجود". ذلك لأنه كان يفكر في الأسباب التي تقف وراء الظواهر.

ثانيا ـ العصور الوسطى : كان ينظر إلى الفلسفة على أنها تقف على طرفي نقيض مع الدين خاصة في أوروبا. لذلك منع الاشتغال بها هناك، إلا إذا كانت تدور في فلك الدين و في إطار تعاليم الكتاب المقدس.وأن تنحصر مهمتها في التمكين للمسيحية، و بذلك أصبحت الفلسفة تابعة للعقيدة.

إلا أنه و في نفس الفترة من التاريخ ، كانت الفلسفة تتمتع بمكانة معتبرة في العالم الإسلامي لاسيما زمن الخلافة العباسية ، و ما يلاحظ أن مفهومها لدى فلاسفة الإسلام كان لا يختلف كثيرا عن مفهومها لدى فلاسفة اليونان .

ـ عند ابن سينا: الفلسفة هي "استكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور و التصديق بالحقائق النظرية و العملية على قدر الطاقة الإنسانية". أي أن الإنسان نشأ جاهلا في معرفته و ناقصا في خلقته و لا يستطيع أن يخرج من جهله ، إلا باستعمال التأمل العقلي في قضايا الكون والإنسان .

ـ عند ابن رشد: الفلسفة عند ابن رشد هي"النظر في الموجودات و اعتبارها من جهة دلالتها على الصانع"، أي أن الفلسفة تسمح بالتعرف على الخالق بالنظر إلى مخلوقاته، و يعتقد أنه كلما كانت المعرفة بصنعتها أتم، كانت المعرفة بالصانع أتم.

ثالثا ـ العصر الحديث:كنتيجة للانقلاب على تراث القرون الوسطى ، الذي بدأ في عصر النهضة و توسع أكثر في عصر الأنوار ، فإن الفلسفة عادت لما كانت عليه من قبل، و أصبح التفكير العقلي هو الدعامة التي تستند عليها المعرفة البشرية، و يعتبر المفهوم الذي قدمه

روني ديكارت للفلسفة عن هذا التحول، فهي عنده تميزنا عن الأقوام المتوحشين، وبها ينبغي قياس تقدم المجتمعات. وقد انعكس هذا الفهم على الحركة العلمية التي أخذت تحقق اكتشافات لا نظير لها في العصور السابقة. لكن ما يؤخذ على هذا العصر أنه كان يقدس العقل، و بذلك وقع في التطرف نفسه الذي وقعت فيه الكنيسة سابقا. و في تعريفه الوصفي للفلسفة يقول" الفلسفة بأسرها أشبه بشجرة جذورها الميتافيزيقا، و جذعها الفيزيقا، الفروع التي تخرج من هذا الجذع هي العلوم الأخرى التي تنتهي إلى ثلاثة علوم رئيسية هي: الطب والأخلاق و الميكانيكا".

رابعا – الفلسفة المعاصرة: وكرد فعل على الغلو في الأخذ بالعقل و الاعتماد عليه بشكل مطلق في العصر الحديث، ظهرت اتجاهات كثيرة في الفلسفة المعاصرة تنادي بضرورة الحد من الثقة المفرطة في العقل بعد أن تأكد لهم أن العقل معرض للخطأ و أنه يتأثر بالعواطف و العقائد، بل ظهرت أراء سلبته كل قدرة على قيادة البشر، و أصبح بدوره مسير من طرف قوى أخرى مثل قوة الدفعة الحيوية عند برغسون.

عند ماكس شيلر: " نشاط بواسطته يتأكد أو يتضح معنى العبارات... الفلسفة تشرح العبارات و العلم يتأكد منها".

عند جون ديوي : " هي العمل المحرك و المحفز للناس على العمل الناجح المحقق للنفع".

المحاضرة رقم 02 خصائص الفلسفة

تمهيد: إن صمود الفلسفة لأكثر من خمسة و عشرين قرنا، و تجاوزها لعقبات اعترضت طريقها، و تخطيها للمضايقات التي يقوم بها كل مستفيد من غياب التفكير العقلي في المجتمعات. هذا الصمود يعود في الأساس إلى الطبيعة البشرية، و ما تتوفر عليه من قدرات ذهنية و رغبة في المعرفة. و الفلسفة بوصفها أحد ضروب المعرفة نجدها تتميز بخصائص نذكر منها: الشمولية، الاتساق، التعمق ، الدهشة.

1/ الشمول: انفصال العلوم عن الفلسفة بداية من القرن السابع عشر، يعني أن هذه العلوم أخذت في الاتجاه نحو التخصص في احد فروع المعرفة، فنجد علم الفلك يهتم بدراسة الأجرام السماوية و الطب يستهدف معالجة الأجسام من الأسقام و كذلك و الفيزياء و الكيمياء و غير ذلك، ثم أخذت هذه التخصصات في الانقسام إلى فروع أيضا. إلا أن الفلسفة ظلت كما كانت منذ ظهورها لدى اليونان تتجنب التخصص حتى عندما ظن البعض أنها أفرغت من محتواها عندما انفصلت العلوم عنها تباعا، و استمرت تنشد الشمولية في كل ما تدرس.

إنها لا تروم تفسير المشكلات الجزئية مثل ما نجد في العلوم العقلية أو التجريبية، و يمكن الوقوف على هذه الخاصية بالنظر لمباحثها الأساسية، فعندما يبحث الفيلسوف في الوجود مثلا فإنه لا يركز على المكونات الأساسية للكواكب و النجوم، و القوانين التي تحكم سيرها في الفضاء، إنما يريد الإجابة على أسئلة اشمل نحو ما هو مصدر الكون؟ و ما هي طبيعته؟ و ما هو مصيره؟ و هي أسئلة ليس من السهل أن يقدم إجابة مقبولة عنها، و إن حاول العالم أن يدرس مصير الكون فإنه في واقع الأمر يكون قد غادر مخبره وولج عالم الفلسفة. و كذلك

الأمر في مبحث الابستومولوجيا إنها لا تريد الكشف عن أساسيات الفيزياء، و دقائق الرياضيات، و لكنها تريد الكشف بشكل عام عن مصدر الحقيقة و مدى مصداقيتها، و الأمر نفسه ينطبق على مبحث الأخلاق و القيم و الجمال. و الشمولية لا تعني أن الفلسفة بإمكانها الرد على كل الأسئلة التي يثيرها الذهن البشرى، لأن هذا يتجاوز الطاقة التي يتوفر عليها أي فيلسوف لا سيما في ظل توسع المعارف الذي عرفها عصرنا، و إنما تحاول مقاربة المسائل التي يطرحها الذهن البشري بصفة كلية و شاملة، على أن لا يفهم من هذا الكلام أن مقاربتها الكلية تكون سطحية و مبتذلة و في الحقيقة فإن الشمولية نجدها و لو بدرجة أقل في العلوم بدليل أن التجارب الفردية تتحول إلى قانون عام و شامل. يقول **أسطو**:" لا علم إلا بالكليات".

2/ الاتساق: عند لالاند يكون عندما يغيب التناقض و التنافر، و بدل ذلك يحل التماسك. و يعتبر الاتساق أهم خصائص الفلسفة منذ ظهورها، بحيث يحرص الفيلسوف على تجنب التناقص في أفكاره، لأنه متيقن من كونه سيخرج من دائرة الفلاسفة و المفكرين ثم العثور على احد أرائه لا ينسجم مع نسقه الفلسفي. فإذا كان من القائلين بفطرية الأفكار مثل أفلاطون، فلا ينبغي أن يقر بالأصل التجريبي للرياضيات، لأن هذا الموقف يتعارض مع مسلماته و مبادئه التي تستبعد الحواس كطريق للمعرفة الصحيحة. و في المقابل فإن جون لوك لو انتهى إلى القول بأن عناصر الرياضيات قبلية فأن هذا الحكم سيحط من قيمته كفيلسوف لأنه لا ينسجم مع فلسفته العامة المبنية على التجربة.

و في الحقيقة فإن الحرص على عدم التناقض و الانسجام الفكري، هو العامل الرئيسي في ظهور انساق فلسفية مختلفة بين الفلاسفة، و أن قيمة هذه الأنساق تزداد كلما خلت من التناقض، و هذا ما يسمى بالبناء الفكري للفيلسوف. و من ذلك فلسفة أفلاطون المثالية، و كيف انعكست على كل المسائل الفلسفية التي تناولها و كذلك أرسطو و الفارابي و ابن رشد و روني ديكارت و إيمانويل كانط و جان جاك روسو، و جون لوك، و توماس هوبز، فريدريك هيجل. و غيرهم من أصحاب الأنساق الفلسفية و قد يجر هؤلاء الفلاسفة الذين يبحثون عن اتساق أفكارهم و خلوها من التناقض لمعارضة ما هو سائد لاسيما في مجال الدين و السياسة. و لكن مع ذلك نجدهم يفضلون سلامة أنساقهم الفكرية من التناقض، حتى لو جلب لهم هذا الحرص الكثير من المتاعب، بل قد يتفاقم الوضع فيجد الفيلسوف نفسه أمام تهم خطيرة قد تزج به في السجون أو النفي كما حدث مع ابن رشد الذي تعرض لنكبة أبعدته عن وطنه و تسبب ذلك في حرق كتبه، أو الإعدام كما حدث مع شهيد الفلسفة سقراط. و الأمثلة كثيرة للمفكرين الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل الحرص على اتساق أفكارهم. لأنهم يؤمنون بأن الفلسفة ليست فكرا مرتجلا، و ليست شطحات فكرية لا يعرف مصدرها، و ليست شذرات من الآراء من هنا و هناك، إنما هي تفكير منظم و بنية من الأفكار ة النظريات.

3/ التعمق: إذا كانت الفلسفة تهتم بالإجابة عن القضايا الكبرى، فهذا لا يعني أنها تتميز بالسطحية. بل إنها على العكس من ذلك تعمل على التعمق إلى ابعد الحدود ف القضايا التي تناولتها بالبحث. فهذا أفلاطون عندما أراد أن يقدم تصوره للعدالة نجده يتوسع و تعمق أكثر لدرجة أنه ألف كتاب الجمهورية بغرض تحديد معنى العدالة. فالقول مثلا بأن العدالة أن يأخذ كل ذي حق حقه مفهوم لا يفي بمضمون العدالة عنده، لأنه لو افترضنا أن شخصا استودعتك أسلحة ثم عاد بعد فترة مصابا بمرض عقلي ليطالب بوديعته، فإنه من الصواب أن تمنعه

منها، لأنها أصبحت تشكل خطرا عليه و على من يحيطون به. فانظر إلى التعمق في هذه المسألة. ثم واصل أفلاطون الانتقال من تعريف إلى آخر و كانت النتيجة تأليف كتاب الجمهورية، دون أن يعثر على تعريف جامع مانع للعدالة. أما ديكارت فإن التعمق عنده يبرز عندما أراد البحث في حقيقة وجود الإنسان معتمدا على منهج الشك النقدي، فأخذ يشك في كل ما وصل إليه من معارف بما في ذلك القول بأنه موجود. إلى أن وصل الشك في عملية الشك نفسه التي يقوم بها، ليتبين له استحالة الشك في كونه يشك، و هنا تأكد له أنه يفكر، و مادام يفكر فهو موجود. فقال أنا أفكر إذا أنا موجود. و كل ذلك بفضل خاصية التعمق في الفلسفة، والابتعاد عن التسرع في الأحكام و السطحية في التفكير.

4/ الدهشة: تنشأ الدهشة عند إدراك صعوبة السؤال، و الدهشة في لسان العرب تأتي بمعنى ذهاب العقل من الذهول والوله و قيل من الفزع، و دهش الرجل يعني تحير.

و الاندهاش لا يكون أمام الخوارق و الغرائب فقط، بل يمكن أن ينشأ من مشاهدة ما هو مألوف لكن بشرط أن ننظر إليه من زاوية مختلفة و بشرط أن نتجاوز سلطة العادة عند الالتفات إليه، لأن العادة تحاول إقناعنا بأن كل شيء طبيعي لا يستدعي أي تساؤل أو تعجب أو اندهاش.

إن الاندهاش هو أصل التفلسف و هو مبدأه و جوهره الثابت و قوته المحركة، و لو زال لتوقف التفلسف نفسه. و عندما كان هيجل يتحدث عن الارتباك و اعتبره أهم شيء في الفلسفة فإنه كان يقصد الدهشة. صحيح أن الذي يجرب الدهشة سيصاب بخيبة أمل و ربما يحس بأنه كان مخدوعا في معلوماته، لكن ذلك يقضي به في النهاية للتحرر من الأوهام. و قد تخرسه الدهشة إلا انه لا يلبث أن يصحو منها و يواصل سيره بدافع الشوق نحو المعرفة.

المحاضرة رقم03:منهج الفلسفة:

مفهوم المنهج:

المنهج هو الخطة المتبعة للوصول إلى نتيجة معينة، أو هو الترتيب الذي يتقيد به سير العمل للوصول إلى نتيجة. و هو الطريق المؤدي إلى بلوغ الحقيقة، باعتبارها مجموعة العمليات الذهنية التي يحاول من خلالها علم من العلوم إدراك الحقيقة، مع إمكانية بيانها و التأكد من صحتها. و للمنهج مستوى نظري هدفه الوصول إلى الحقيقة، و مستوى علمي يتحدد باعتباره مجموعة الطرق التي نريد الوصول بواسطتها إلى نتيجة عملية معينة. و إذا كانت العلوم التجريبية تقوم على منهج يتكون من الملاحظة و الفرضية و التجربة و هو منهج ينسجم مع موضوع الدراسة الذي يتألف من عناصر مادية و بما أن مواضيع الفلسفة هي في الأغلب ليست مادية فإنه كان من الضروري ظهور منهج ينسجم مع موضوع الدراسة فيها و عندما حاول الفلاسفة و ضع هذا المنهج تبين لهم أنهم أمام مناهج و ليس منهجا واحدا. ومن هذه المناهج الحدس و التمثيل و منهج الشك و المنهج الظواهري و التحليلي و البنيوي و المنهج الفيولولوجي.

1/ منهج الحدس:

عرفه الجرجاني بأنه سرعة انتقال الذهن من المبادئ إلى المطالب. و الحدس عند ديكارت هو التصور الذي يقوم في ذهن خالص منتبه لا يبقى على مجال للشك، صادر عن نور العقل. و ينقلنا الحدس عند برغسون إلى باطن الشيء بواسطة التعاطف العقلي الذي يجعلنا نتحد بصفات هذا الشيء أو الظاهرة بحيث يتعذر أحيانا التعبير عن مشاهدتنا بالألفاظ. و لاستعمال الحدس بشكل فعال ينبغي تجنب التسرع و التعويد على الصبر و الأناة و الحذر من الأحكام السابقة. و إن لا نلجأ إليه إلا بعد استنفاد الطرق الأخرى و الحدس عند أصحابه لا يتبع مراحل متتالية و إنما يحدث فجأة فهو مثل الرؤيا، و هو أنواع :

1/ **الحدس الحسي**: هو إطلاع مباشرة على ما تعرضه علينا الحواس من ألوان وأصوات.

2/ **الحدس النفسي**: هو معرفة النفس لأحوالها و أفعالها، فنطلع بشكل مباشر على ما يجري داخل أنفسنا من ذكريات و عواطف و رغبات.

3/ **الحدس العقلي:** هو الإدراك المباشر للمعاني و القضايا البسيطة. فندرك استحالة وجود الشيء و عدمه في نفس الوقت، و إدراك النقطة الهندسية التي لا عرض لها ولا عمق ولا طول، و التعرف على معنى الخط المستقيم الذي لا نهاية لطوله. إنه عمل عقلي يدرك به الذهن حقيقة معينة و يفهمها في وقت واحد.

2/ منهج التمثيل:التمثيل هو الحكم على شيء معين لوجود ذلك الحكم في شيء آخر أو إثبات حكم في أمر لثبوته في أخر لعلة مشتركة بينهما. و يدل التمثيل على التساوي بين نسبتين، و قد وظفه أرسطو عندما أقام تمثيلا بين الرئة و الخياشم، فالحيوانات التي تعيش في الماء تستعمل الخياشم كما تستعمل الحيوانات التي تتنفس الهواء بالرئة و شبه العالم بالكائن الحي، و شبه نشاط الكواكب بنشاط الحيوانات في عالمنا. و تعرف طريقة التمثيل عنده باسم الاستدلال و البرهان بالمثال.

إن التمثيل هو كل استدلال يقوم على التشابه بين الأشياء التي هي موضوع البحث، و يستخدم في الكشف عن المجهول، مثلما يستغل في الإقناع كما يمكن استعماله في العرض المبسط. و قد لجأ أفلاطون في محاوراته على التمثيل، و اسند إليه دورا هاما في دراسة الواقع و فهمه و يتضح هذا في مثال الكهف الذي ذكره في كتاب الجمهورية.

3/ منهج الشك و اليقين: إذا كان الشك منهجيا فإنه يقود الباحث إلى الحقيقة و اليقين عنده. و اليقين هو الاعتقاد الجازم و الثابت الذي لا يزول بشك ، انه حالة ذهنية تقوم إلى اطمئنان النفس إلى الشيء. و اليقين عند الجرجاني رؤية العيان بقوة الإيمان لا بالحجة و البرهان. و إذا كان الشك المنهجي أو الطريق فإن اليقين هو النهاية التي يأمل الباحث إدراكها.

و للوصول إلى اليقين يجب أن يبدأ الباحث بوضع كل معارفه التي تلقاها موضع الشك، ووضع كل معتقداته العامة موضع الارتياب، و عليه أن يتجاوز أحكامه المسبقة. و هي النقاط التي تطلب من ديكارت تأليف كتاب عنوانه" مقال عن المنهج" و فيه صاغ منهجه القائم على الشك المنهجي و يتألف من أربع قواعد:

1/ ألا اقبل شيئا على أنه صادق ما لم تكن لدي معرفة واضحة بأنه كذلك اعني الحرص على تجنب التسرع و التحيز في الأحكام و ألا اقبل منها إلا ما كان حاضرا أمام عقلي بوضوح و تميز بحيث لا يدع مجالا للشك فيها.

2/ اقسم كل مشكلة تناولتها إلى أكبر عدد ممكن من الأجزاء بحيث تبدو مناسبة لتقديم أفضل حل لها.
3/ أوجه أفكاري توجيها منظما مبتدئا بأبسط الأشياء و القضايا و هي ما كانت معرفتنا لها أكثر وضوحا و اصعد تدريجا إلى معرفة ما هو أكثر تعقيدا.
4/ أقوم بإحصاءات تامة و مراجعات عامة للتأكد من أني لم أحذف شيئا.
و هو المنهج الذي انتقل من مجال الفلسفة إلى العلوم التجريبية و العقلية و كانت نتائجه عظيمة، لأنه ساهم في التحقق من المعارف السابقة و حطم الكثير من لأساطير التي كانت تنتقل كمسلمات و بديهيات لا يرقى إليها الشك.
5/ **منهج التحليل:** يعتبر هذا المنهج متناسقا و روح العصر الذي ظهر فيه أي القرن العشرين. و بدأ هذا الاتجاه في انجلترا مع جورج مور، ثم سار في طريقه فيما بعد برتراند و الفريد نورث هوايتهد، وكان هؤلاء يريدون الرجوع إلى العناصر الأولية البسيطة و الوحدات الجزئية التي يقوم عليها الفكر و الوجود ثم العمل على توضيح حقيقة تلك العناصر و الجزيئات و العلاقات التي تربطها بعضها ببعض.
و بدأ تطبيق المنهج التحليلي على الرياضيات ليكشف الوحدات الأساسية التي ترتد إليها و ليوضح أنواع العلاقات التي تربطها فيما بينها.
6/ المنهج البنيوي: و يقوم المنهج أساسا على دراسة العلاقات في إطارها و ثباتها على التزامن بدلا من التعاقب. و بما أن العلاقات تكون دائما في إطار مجموعة فإن المبدأ المنهجي الذي يقوم عليه هو أسبقية الكل على الأجزاء،فأسبقية الكل على الأجزاء من مبادئ المنهج البنيوي الذي يهتم بتحليل بنية الظواهر الإنسانية و الكشف عن علاقتها الموضوعية.
7/ المنهج التأويلي: ظهر التأويل كمنهج لتأويل الكتاب المقدس ثم انتقل إلى الفلسفة مع أعمال شلاير ماخر في القرن ثامن عشر، و هنا اتسع ليدرس كل النصوص الدينية أو غير الدينية. و قد عرف التأويل في العالم الإسلامي و مارسه المتصوفة و المعتزلة لفهم القرآن و السنة و التراث بشكل عام. مثل ما قال ابن عباس:" انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها"، و عند التأويل نجد أن الماء يشير به إلى القرآن و الأودية يعني بها قلوب المؤمنين و بهذا يكون التأويل هو فهم معنى المعنى.
هذه بعض المناهج التي اعتمد عليها الفلاسفة بعضها عرفته الفلسفة القديمة و البعض الأخر جاء نتيجة للتطور الذي عرفته الإنسانية في مجال المعرفة في عصورها المتأخرة و مع أن هذه المناهج مختلفة و تبين أن السبب في ذلك يعود لتعدد و اختلاف مواضيع الفلسفة و انه من الصعب مقاربتها بمنهج واحد لكن مع ذلك فإن هذه المناهج تمر عادة بثلاث محطات أساسية و هي:
1/ طرح الإشكالية: يتميز الفلاسفة عن غيرهم بالحس الإشكالي فينتبهون إلى قضايا يغفل عنها غيرهم فهم اشد الناس بعدا عن الوثوقية و الاعتقاد النهائي و يتمتعون بالروح النقدي الذي يمكنهم من تجاوز الحقائق السائدة عن الكون و الإنسان و يمكنهم من طرح قضايا جديدة لم تكن معروفة عند سابقيهم . لكن قبل صياغة الإشكالية لابد من ضبط التصورات، فيحدد الكلمات و المفاهيم التي يستخدمها .

2/ تحديد الموقف: بعد صياغة المشكلة على الفيلسوف أن يفصح عن موقفه منها بكل وضوح و يكون مقتنع به و يدافع عنه بكل ما أتي من معرفة. و موقفه هذا لا يعبر عن حل نهائي للمشكلة، و إنما هو حل قابل للنقاش و يمكن أن تظهر مواقف مناقضة له، و هذا أمر مألوف لدى الفلاسفة، لأن الفلسفة ذات طبيعة خلافية، فتقوم على تعدد المواقف بسبب تعدد المذاهب.

3/ إقامة الحجة : بعد صياغة الإشكال و الركون إلى موقف منه يكون الفيلسوف في حاجة إلى ما يؤكد ما ذهب إليه ، و يجعله مقبولا ، و نعني به الأدلة . و الدليل هو ما يلزم من العلم به العلم بشيء آخر . و الأدلة أنواع ، منها الأدلة العقلية، و الأدلة النقلية ، و بعضها تجريبية و الأخرى تاريخية. إلا أن هذه الخطوات الثلاثة تمثل المنطلق فقط لأن معالجة مسائل الفلسفة تتطلب تنوع المناهج لاختلاف توجهات الفلاسفة و تباين أسسهم الفكرية و هذا تعدد مناهج الفلسفة.

المحاضرة رقم 04: مباحث الفلسفة

أولا: مبحث الابستمولوجيا (المعرفة)

1- تعريف الابستيمولوجيا:

الابستمولوجيا لفظ مركب من كلمتين، ابيستيميا و تعني العلم و لوغوس و تعني النظرية أو الدراسة ، و من ثم فهي علم العلم و بمعنى أصح فلسفة العلم ، و هي الدراسة التي تهتم بمبادئ العلوم و فرضياتها دراسة نقدية بغرض إبراز قيمتها الموضوعية . فرق لالاند بين الابستمولوجيا و نظرية المعرفة على أساس أن الثانية تدرس المعرفة بالتفصيل بشكل بعدي في حين الابستمولوجيا تدرسها على صعيد وحدة الفكر للكشف عن أصلها المنطقي و أهم مسائلها هي: هل المعرفة ممكنة؟ و ما هو مصدر المعرفة؟ و ما هي طبيعة المعرفة؟

2/ إمكانية المعرفة: السؤال عن إمكانية المعرفة من عدمها يعود للسفسطائيين الذين شككوا في إمكان الوصول إلى المعرفة ، و هو افتراض مرفوض عند سقراط و أتباعه، إلا أن هذا الرفض لا ينفي ما في السؤال من عمق لأنه فرض على الفلاسفة مراجعة أفكارهم ، و ساعد على التمييز بين الوثوقيين و الشكيين

أ- المذهب الوثوقي/الدغماتي

الوثوقية أو القطيعة أو القطعية أو الاعتقادية مذهب من يثق في معارفه ، و يطلق على أصحاب الأحكام المطلقة سواء كانت ايجابية أو سلبية و في كلا الحالتين تكون دون تمحيص مع رفض التسليم بأنها قد تكون معرضة للخطأ ، و هي على النقيض من المذهب الريبي أو الشكي . و من أبرز المدارس المدارس الوثوقية الرواقية و الأبيقورية .

ب/المذهب الشكي/ الريبية

الشك هو التردد بين نقيضين لا يرجح العقل احدهما على الآخر ، و هو عند ديكارت مفيد جدا بشرط أن يكون منهجيا ، لأنه بهذه الصفة سيساهم في الوصول إلى اليقين . و قد استعمله من قبل في الفلسفة الإسلامية أبو حامد الغزالي. و عنده من لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقي في العمى و الضلال. أما عندما يكون الشك من أجل الشك فقط ،

فنحن مع الشك السلبي الذي ينسب لبيرون 365- 275ق م ، صاحب مذهب اللاادرية المنكر للعلم و اليقين ، الأمر الذي يؤدي إلى التوقف عن الحكم.

3ـ مصادر المعرفة:

مصادر المعرفة متنوعة أهمها العقل و الحواس بالإضافة إلى قنوات أخرى

أـ العقل:

العقل طريق للمعرفة عند الكثير من الفلاسفة منذ سقراط و أفلاطون ، لأنه أفضل الملكات التي يتوفر عليها الإنسان . ويعتقد بعضهم أن المعلومات موجودة في العقل بشكل فطري ، و بالتالي يكون التعليم عندهم مجرد مساعدة المتعلم على استحضار تلك المعلومات المركوزة فيه و تحفيزه على تذكرها فقط.

ب/التجربة:

في العصر الحديث اشتدت أكثر الآراء المناهضة لفطرية الأفكار كما ظهرت عند أفلاطون ، و قد صب هذا الرفض في صالح الاتجاه الذي يرى أن المعرف غير موجودة بشكل قبلي، بل تتكون بعد الميلاد عن طريق الحواس من الواقع الحسي . و إن العقل يأتي صفحة بيضاء كما قال جون لوك و ما الإنسان إلا يزوده بالمعارف عن طريق الوسائل المتاحة في عالم الحس و التجربة.

ج ـ البرغماتية/النجاح العملي النفعي:

بالنسبة للبرغماتيين فإن المعرفة نسبية شأنها شأن الأخلاق ، ذلك لأن معيار المعرفة عندهم هو المنفعة التي تتجلى في النجاح العملي ، فإذا كانت القضية تؤدي إلى المنافع فهي حقيقية ، أما إذا كانت بلا فائدة فهي مجرد وهم في رأس حاملها كما قال وليام جيمس.

د/ الحدس:

في نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين ظهر من يشك في قدرة العقل على حل كل المسائل التي تعترض الإنسان، و تبين لهم أن العقل له قدرة على حل القضايا و هي في حالة سكون. أما إذا كانت في حالة حركة مثل الأحداث التي يمر بها الإنسان فإنه غير مؤهل لتفسيرها. هذا ما حاول برغسون تأكيده عندما تحدث عن الديمومة أي حركة الإنسان أثناء حياته، و تبين له أن هذه الحركة غير قابلة للفهم إلا من خلال الحدس الذي يتعرف إلى هذه القضايا بشكل سريع دون الحاجة للمرور عبر مراحل كما يفعل العقل.

4/ طبيعة المعرفة:

أـ المثالية

ذهب أفلاطون قديما إلى القول بأن طبيعة المعرفة مثالية، و يعني بذلك أن معارف الإنسان تنتمي لعالم آخر كان يتواجد فيه الإنسان وهو عالم المثل و حينها كان يحيط بكل المعارف، بل كان إنسانا كاملا لكن عندما غادر هذا العالم نسي تلك المعارف. و لتحصيلها مرة أخرى هو في حاجة لمن يذكره، إلا أن عملية التذكير تتطلب مهارة معينة لدى المعلمين و قد برع فيها سقراط.

ب/ الواقعية:

ثم جاء أرسطو و أكد أن العقل لا يحتوي على كل المعارف، و إنما مبادئ فقد تعرف المبادئ العقل و هي مبدأ الهوية، و مبدأ عدم التناقض و مبدأ الثالث المرفوع. و عن طريق هذه المبادئ يمكنه تحصيل ما يشاء من المعارف من عالمه المحسوس، وعلى هذا النهج سارت الفلسفة التجريبية الإنجليزية.

ثانيا: مبحث الأنطولوجيا (الوجود):

1/ تعريف الوجود: الوجود مقابل العدم ويعني كون الشيء حاصلا في الواقع إما حصولا فعليا فيكون موضوع إدراك حسي، أو حصولا تصوريا فيكون موضوع استدلال عقلي. أي أنه ينقسم إلى وجود خارجي ووجود ذهني، فالوجود الخارجي عبارة عن كون الشيء في الأعيان، و هو الوجود المادي. و الوجود الذهني عبارة عن كون الشيء في الأذهان و هو الوجود العقلي التصوري. وخلافا للمثاليين فإن الواقعيين يسلمون بان ظواهر العالم الخارجي لها وجود مستقل عن الذات و ما المعرفة إلا انعكاس للعالم الخارجي في أذهاننا، وعلم الوجود أو الأنطولوجيا هو قسم من الفلسفة يبحث في الوجود في ذاته مستقلا عن ظواهره كما يبحث في العلاقة بين الوجود و الماهية و أصل الوجود و طبيعته و مصيره.

2/ مذاهب فلسفة الوجود:

أ- المذهب الواحدي: هو المذهب القائل بمبدأ واحد في الوجود، أو بجوهره واحد و إن تعددت أفراده سواء كان الجوهر مادة أو روح. و الواحدية عند القدماء تعني عدم انقسام الواجب لذاته أي الخالق إلى الجزيئات. وعند المحدثين هي مذهب فلسفي يرد جميع الأشياء إلى مبدأ واحد مثلا الكون كله عند البعض يعود إلى المادة فقط فالمذهب الواحدي هو مذهب كل من يصرح بأن الظواهر أو الأفكار تعود لنوع واحد من التفسير. و يتفرغ عن هذا المذهب ثلاثة اتجاهات وهي: **الواحدية المادية** و ترد الوجود إلى المادة وحدها و نجد هذا التوجه لدى فلاسفة الطبيعة الأوائل الذين يردون العالم غلى أصل مادي واد قد يكون الماء أو الهواء أو النار أو غير ذلك من العناصر المادية. و **الواحدية الروحية** وترد الوجود إلى الروح و ابرز من يمثل هذا التوجه في العصر الحديث هو باروخ سبينوزا و فريدريك هيجل هذا الأخير يعتقد أن العالم كله هو تجسيد للروح التي تمكر بالإنسان، و تجعله يعتقد انه يقوم بأفعاله عن إرادة و اختيار و لكن في واقع الأمر و هو ينفذ تخطيطا مسبقا لم يشارك في وضعه و يرى البعض أن الواحدية غما أن تكون مادية محضة أو روحية محضة و ابرز القائلين بالواحدية في العصر اليوناني هو برمنيدس و أبرزهم في العصر الحديث اسبينوزا. و بالتالي لا مجال للحديث عن الواحدية المحايدة.

ب- المذهب الثنائي: الثنائية هي كون الطبيعة تتألف من وحدتين، وأن الشيء الواحد يكون مشتملا في نفس الوقت على حدين متقابلين، كتقابل الفكر و العمل، والعقل و التجربة، و الخيال و الحقيقة. و هو مذهب ينتشر أكثر في الثقافة الشرقية ففي الصين نجد الصراع ابدي بين الين و اليانج أو النور والظلام و كذلك في الثقافة الفارسية القديمة التي تجعل العالم خاضع لقوتين متصارعتين على الدوام.

ج- مذهب الكثرة و التعدد: الكثرة ضد الوحدة و اللفظان متقابلان و متضايفان، لأنك لا تفهم إحداهما دون نسبته إلى الأخر بدليل قولك إن الشيء الكثير يقبل الانقسام إلى وحدات مختلفة. فالكثرة هي صفة الشيء المركب من وحدات مختلفة فإن كانت قابلة للإحصاء كانت متناهية

و إن كانت غير قابلة للإحصاء كانت غير متناهية و مذهب الكثرة هو القول أن العالم لا يصدر عن علة واحدة ولا علتين و إنما مصدره جملة من العلل و هو تصور نجده عند ديموقريطس الذي وجد أن العالم يتألف من ذرات كثيرة تنفصل و تتحد و ليس مجرد أعراض أو ظواهر لحقيقة واحدة مطلقة كما يقول المذهب الواحدي و إنما هي جواهر شخصية كثيرة مشتقة بعضها عن بعض و لكن منها صفات خاصة و ينقسم هذا المذهب إلى قسمين فنجد الكثرة المادية كما المحنا سابقا عدا ديقريطس و الكثرة الروحية كما هي عند ليبنتز في كلامه عن المونادات و هي أجراء صغيرة ذات روحية تؤلف العالم

3/ مبحث الأكسيولوجيا (القيم): قيمة الشيء قدره، و هي مرادفة للثمن، و قيمة الشيء من الناحية الذاتية، هي الصفة التي تجعل ذلك الشيء مطلوبا أو مرغوبا فيه عد غيره. و القيم هي عناصر غير القابلة للتكميم، أي لا يمكن وزنها أو قياسها و هي ثلاثة قيم أساسية الحق و الخير و الجمال و لكل عنصر من هذه العناصر يوجد علم يدرسه.

المحاضرة رقم 05و 06: علاقة الفلسفة بغيرها من المعارف و العلوم

أولا: الفلسفة و الدين

ذهب علماء الانثروبولوجيا إلى القول بأنه لا يخلوا أي مجتمع بدائي من وجود هيكل للعبادة و مع اختلاف المعبودات بالطبع، و هذا يعني أن الدين مكون أساسي في حياة البشر . و قد عرف الإنسان على مر تاريخه الطويل أديان متعددة و متنوعة بعضها أرضية و الأخرى سماوية. و الدين هو جملة من الادراكات و الاعتقادات و الأفعال الحاصلة للنفس من جراء حبها لله و عبادتها إياه . أو هو الإيمان بالقيم المطلقة و العمل بها . و تدخل تحت معاينة الشريعة ما دامت أوامر و نواهي مطاعة. ومن معانيه أيضا الملة إذا كان جامعا مانعا للناس. و المتدين هو الذي ينصاع لأحكام الدين و يقوم بشعائر معينة و يؤمن بقيم مطلقة و يعتقد أنه متصل بقوة روحية أعلى منه و مفارقة لهذا العالم أو محايثة له في صورة موحدة أو متعددة . هذه الخصائص تجعل الدين مختلف عن الفلسفة باعتبارها نشاطا عقليا بالدرجة الأولى و هو الاختلاف الذي كان سببا في ظهور صراع معلن أو خفي بين رجال الدين و الفلاسفة و ابرز صراع بينهما ظهر في العالم المسيحي و بدرجة اقل في العالم الإسلامي.

الفلسفة في العالم المسيحي: المعلون أن الفلسفة ظهرت في اليونان منذ القرن السابع قبل الميلاد و استمرت هناك إلى زمن انتقال الديانة المسيحية من الشام إلى روما، لتنتشر هناك بعد تحول الحاكم الروماني قسطنطين من الوثنية إلى المسيحية في القرن الرابع للميلاد. و هناك كان على الفلسفة أن تجد لها مجالا حيويا أخر خارج الإمبراطورية الرومانية، لأنها ستتعرض لمضايقة و اضطهاد كبيرين و هذا ما حدث بالفعل، و لولا استقبالها من طرف الفرس الذين قاموا بترجمتها إلى اللغة الفارسية في مدرستي الرها و نصيبين لكان مصيرها الضياع و لخسرت الإنسانية كنوزا لا يمكن تعويضها.

هذا لأن أباء الكنيسة رجحوا كفة النقل على العقل، و قالوا بأنه يتوجب على المسيحي أن يؤمن ثم يفكر. لعلمهم أن المسيحية لا تصمد أما النقد المؤسس على العقل خاصة ذلك النقد

الذي يصدر عن الفلاسفة، لذلك كان من الضروري غلق هذا الباب و اتهام كل من يدرس الفلسفة بالهرطقة و الكفر.
و لم يكتف البابوات و الأساقفة باضطهاد الفلسفة و الفلاسفة و إنما تعرضوا بالسوء للعلم و العلماء و قد امتد الصدام بين المسيحية و الثقافة و اليونانية إلى الجانب الابستميلوجي المعرفي بسبب الاختلاف في طرق البرهنة، فإذا كانت الفلسفة تعتمد على العقل فإن المسيحية تعتمد على النبوة، و النبوة هي خطاب من الوجدان إلى الوجدان. لهذا جميع المنافحين عن المسيحية في القرون الأولى كانوا يعملون على تأكيد تفوق الأنبياء على الفلاسفة و أن حجة الإيمان دائما فوق حجة العقل و الإيمان مقره قلوب البسطاء و ليس عقول الفلاسفة. و الدليل لدى رجال الدين المسيحي يقوم على المعجزة و ليس الاستدلال العقلي وفي هذا يقول القديس يوستينس: منذ أزمة سحيقة و في عهود أقدم من عهود أولئك الفلاسفة المزعومين، وجد بشر سعداء أعزاء عند الله، تكلموا بلغة الروح القدس، و حكموا عن المستقبل بتكهنات هي اليوم قيد التحقيق و هؤلاء هم من يسمون بالأنبياء. ما بالبرهان تكلموا بل فوق كل برهان، كانوا شهداء على الحقيقة. و الأحداث الماضية و الحاضرة ترغمنا على تصديقهم.
و قد يكون الرسول بولس و هو المؤسس الثاني للمسيحية أول من دشن الحملة ضد الفلسفة لأنه كان يحذر من خداع الفلسفة الباطلة و أعلن أنه يجب الاستغناء عن الحكمة البشرية و الاكتفاء بالحكمة الإلهية. وفي هذا الجو المعادي للتفكير الحر ظهرت نظرية سرقة الفلسفة، وتعني أن الحكمة الحقيقة جاء بها الأنبياء أمثال إبراهيم و موسى إلا أن الفلاسفة قاموا بتحريفها ولولا المسيح لاستمرت الفلسفة في الانحطاط. ومع تقديم انتشار المسيحية في القرن الثالث و الرابع أصبحت الفلسفة اليونانية مرادفة للوثنية و مصدر للهرطقات. ومع تنصر الإمبراطور قسطنطين في القرن الرابع الميلادي ازدادت المسيحية قو عندما أصبحت الديانة الرسمية لروما الأمر الذي مكنها من التصدي لخصومها و حسم الصراع القائم بقوة الحديد و النار و ازدادت قوة بعد مجمع نيقيا لأنه في هذا المجمع ثم الاتفاق على أركان العقيدة المسيحية و ه كما يلي:
إننا نؤمن باله واحد أب كلي القدرة خالق الأشياء جميعا ما يرى منها و م لا يرى و برب واحد يسوع المسيح ابن الله المولود من بذرة الأب الواحدة أي من ماهية الأب اله من اله نور من نور اله الحق من اله الحق مولود غير مخلوق مشارك للأب في الجوهر منه خلق كل شيء ما في السماء و ما على الأرض و لأجلنا و لأجل خلاصنا نحن البشر نزل و تجسد و صار إنسانا و تعذب و بعث في اليوم الثالث و صعد إلى السماء و سيعود لمحاكمة الأحياء و الأموات. و انعكس هذا الاتفاق على الفكر الحر فتراجع التفكير في موضوع الإلهيات، واستمرت مضايقة التفكير العقلي إلى أن تم غلق أكاديمية الفلسفة في أثينا سنة529 م و كانت أخر مدارس الفلسفة اليونانية أي الأفلاطونية المحدثة فلجأ القائمون على الأكاديمية إلى الفرس فاستقبلهم كسرى انوشروان و جعلهم من ندمائه و أمر بترجمة عدة محاورات أفلاطونية إلى الفهلوية و السريانية.
و قد استمر هذا الجو المعادي للتفكير الأكثر من ألف سنة، و لم تتخلص منه إلا مع مجيء عصر الأنوار ففي هذا العصر شرع المفكرون و الأدباء و العلماء في التصدي لسيطرة

الكنيسة و إجبارها على البقاء داخل أسوارها. زمن ابرز هؤلاء نذكر فلتير الذي اعترض بشدة على تعصب المسيحية و طرقها في التبليغ القائمة على نفي الرأي الأخر فقال: إن الإنسان الذي يقول لي امن كما امن و إلا فإن الله سيعاقبك سيقول لي الآن آمر كما أومن و إلا سأغتالك.

و شرع في التصدي لهذا الوضع مبدأ بتساؤل حو صحة الأناجيل و كان قد سبقه إلى هذا سبينوزا و هولباخ و ديدرو و دلامبرت. و يعتقد هؤلاء أن الإيمان بالله حسب الكنيسة مرتبط بالتسليم بالحكم المطلق و ما فيه من تعدي على حقوق الناس في التفكير. فضلا عن ذلك كان فلتير يود أن يسود التسامح بين الناس بدل الصراع الذي عززته الكنيسة فقال و هو يريد نشر مبدأ التسامح بين البشر: أنا لا اتفق معك في كلمة واحدة مما قلته و لكني سأدفع عن حقك الكلام و حرية التعبير عن أفكاره حتى الموت و كان لجهوده و جهود فلاسفة الأنوار اثر طيبا على أوروبا التي غادرت عصور التخلف منذ عصر النهضة و لا زالت تحتل الريادة إلى اليوم.

الفلسفة في العالم الإسلامي:

ظهر الإسلام في زمن تراجعت فيه الإمبراطورية الرومانية و انتشر في زمن قصير جدا فشمل الفتح بلاد فارس و الشام و شمال إفريقيا و تمكن من العبور إلى أوربا عبر مضيق جبل طارق و استقر في الأندلس ثمانية قرون. و مر تاريخ الإسلام بمراحل كانت بدايتها بصدر الإسلام الذي شهد بعثة الرسول صلى الله عليه و سلم و كان اهتمام الصحابة و التابعين في هذه المرحلة مركزا على تدبر القرآن و السنة ثم مواصلة الفتوحات الإسلامية لذلك تشهد هذه الفترة إقبال على العلوم الدنيوية و استمر هذا الوضع إلى زمن الخلافة الأموية في الشام.

لكن الأوضاع تغيرت في زمن الخلافة العباسية حيث أصبح في الإمكان الإطلاع على ثقافات الشعوب الأخرى من علوم و فلسفة واديان و هذا نتيجة لتوفر عوامل موضعية و أهم هذه العوامل هو موقع الخلافة الجديد فبغداد عريقة في الحضارة فبلاد الرافدين شهدت الكثير من المجتمعات المتحضرة. و أخرها المجتمع الفارسي الذي كان منافس عنيد للهيمنة الإغريقية. و الأهم من ذلك هو اهتمام خلفاء بني العباس بالجوانب الفكرية خاصة لدى الخليفة المأمون الذي شهدت فترة حكمه ترجمة أغلب الكتب العلمية و الفلسفية. و كان يمكن أن تستثنى الفلسفة من عملية النقل هذه لولا إصرار الخليفة المأمون على ترجمة مؤلفات أرسطو و غيرها من كتب فلاسفة اليونان. وهو إصرار لا يمكن بآي حال أن يكون نتيجة لرؤيا طلب فيها أرسطو من المأمون نقل كتبه غلى اللغة العربية حسب وجهة نظر المفكر المغربي محمد عابد الجابري، و إنما السبب الحقيقي له صلة بالشؤون السياسية و الحكم وما أحاط بها من صراع بين أهل النص و أهل الرأي و بين الأشعار ة المعتزلة و هو صراع له انعكاس على تسيير شؤون الخلافة خاصة و أن الدين الإسلامي ليس لتعبد فقط فهو مصدر التشريع لكن ماله صلة بحياة المسلم، و بما أن الصراع قائم بين الطرفين فلابد للحاكم أن يتصرف لأجل المحافظة على استقرار وضع الخلافة.

فكانت الفلسفة بالنسبة لبعض خلفاء بني العباس بمثابة سلاح يمكن استعماله في التصدي للخصوم المتشبثين بحرفية النصوص الدينية، و هنا برز إلى العلن الصراع بين الفلسفة و

الدين في العالم الإسلامي، و بشكل أصح الصراع كان بين الفلسفة و فهم البشر لما ورد في القرآن و السنة.
و لهذا يمكن القول أن مصير الفلسفة في الحضارة الإسلامية كان أفضل من مصيرها لدى المسيحيين على الرغم من الاشتغال بها في الحضارة الإسلامية كان مقتصرا على البعض فقط، فنجد في الشرق العربي الكندي و الفارابي و ابن سينا، و ظهر في المغرب الإسلامي ابن رشد و ابن باجة و ابن طفيل و ابن حزم و ابن خلدون. و كان هؤلاء على قلتهم عرضة للاتهامات الصادرة من طرف الفقهاء و هي اتهامات قد تكون صادرة عن حسن النية أو سوء النية. منها قولهم بأن الفلسفة من العلوم المهجورة. و أنها مشوبة بالفكر. و لذلك أصبح تتردد على الأسماع عبارة عن تمنطق قد تزندق. و أخذت في الظهور كتب تذم الفلسفة و الفلاسفة و منها ما كتبه المتصوف شهاب الدين السهرودي في كتابيه الرد على الفلاسفة بالقرآن و كشف القبائح اليونانية و رشف النصائح الإيمانية. و من اعنف المواقف ضد الفلسفة ما صدر عن ابن الصلاح الشهرزوري المتوفى سنة643ه في قوله:" الفلسفة أس السفه و الانحلال، و مادة الحيرة و الضلال، و مثار الزيغ و الزندقة. و من تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المطهرة المؤيدة بالحجج الظاهرة و البراهين الباهرة، و من تلبس بها تعلمنا قارنه الخذلان و الحرمان، و استحوذ عليه الشيطان. و أي فن آخر من فن يعمي صاحبه و يظلم قلب عن نبوة نبينا... و أما المنطق فهو مدخل الفلسفة و مدخل الشر شر، و ليس الاشتغال بتعليمه و تعلمه مما أباحه الشرع و لا استباحة احد من الصحابة و التابعين و الأئمة المجتهدين و السلف الصالحين و سائر من يقتدي به من أركان الأمة و قادتها. قد برأ الله الجميع من ذلك و ادناسه فطهرهم من أوصابه. و أم استعمال المصطلحات المنطقية في الأحكام لشرعية فمن المستنكرات المتبعة و الرقاعات المستحدثة، و ليس بالأحكام الشرعية- و الحمد لله- و الافتقار إلى المنطق أصلا وما يزعمه المنطقي للمنطق من أمر الحد و البرهان فقاقع، قد أغنى الله عنها كل صحيح الذهن لا سيما من خدم نظريات العلوم الشرعية. و لقد تمت الشرعة و علومها و خاض في بحر الحقائق و الدقائق علماءها حيث لا منطق و لا فلسفة و لا فلاسفة. ومن زعم انه يشتغل مع نفسه بالمنطق و الفلسفة لفائدة يزعمها فقد خدعته الشياطين و مكر به. فالواجب على السلطان أن السلطان أن يدفع عن المسلمين هؤلاء المشائيم و إخراجهم من المدارس و يبعدهم و يعاقب الاستغال بفنهم و يعرض من ظن منه اعتقاد عقائد الفلاسفة على الإسلام أو السيف لتخمد نارهم و تمحى أثارها و أثارهم. يسر الله ذلك و عجله و من وجب هذا الواجب عزل من كان مدرس للمدرسة من أهل الفلسفة و التصنيف و الإقراء لها ثم سجنه و إلزامه منزله، و إن لزم أنه غير معتقد لعقائدهم فإن حاله يكذبه و الطريق إلى قلع أصوله."و نفس الموقف أو أشد نجده عند ابن تيمية الذي لم يترك مناسبة إلا و يوظف هذه العبارة: كان أرسطو و قومه من اليونان مشركين يعبدون الأصنام ويعانون السحر. بل نجد هذه الأحكام نفسها تصدر عن من يدخل في دائرة فلاسفة الإسلام و بالطبع في هذه الحالة يكون للحكم وزن أكثر من نظيره لدى الفقهاء لأنه صادر من فيلسوف سابق فهو شاهد من أهلها. و من هؤلاء أبو حامد الغزالي الذي انقلب على الفلسفة، و هاجم الفلاسفة في كتابه الخطير الذي لازالت الفلسفة في العالم الإسلامي تعاني من تأثيره إلى الآن و أعني به كتاب تهافت الفلاسفة . إن هذا الكتاب اثر سلبا على تقدم الفلسفة الإسلامية على

الرغم من ظهور محاولات للتخفيف من أثره ، و أهمها ما قام به الفيلسوف ابن رشد في كتابه تهافت التهافت و الذي من عنوانه يتضح الغرض من تأليفه ، فهو يريد إبطال ما ورد في كتاب الغزالي ، و التأكيد على أن الفلسفة لا تتناقض مع الدين. و ظهر هذا المعنى مفصلا أكثر في كتاب آخر لابن رشد بعنوان فصل المقال فيما بين الشريعة و الحكمة من اتصال. إلا أن محاولته لم تحقق الغاية من وجودها لظهورها في زمن تراجعت فيه الحضارة الإسلامية. لكن مع نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين أخذ بعض المفكرين العرب يعملون على إعادة الاعتبار للفلسفة في العالم العربي و مواصلة ما شرع فيه من قبل ابن رشد ، وهذا من خلال بعض الأعمال التي قام بها رفاعة الطهطاوي و سلامة موسى و شبلي شميل و فؤاد زكريا و زكي نجيب محمود، و محمد عابد الجابري، و محمد أركون و غيرهم . إلا أن عودة التفكير الفلسفي إلى العالم الإسلامي لم يتحقق بعد رغم أن تقدم الأمم مرهون بوجوده، ولازال الصراع بين الفلسفة و الدين قائما يشتد حينا و يخف حينا أخر تبعا للظروف السياسية و الاجتماعية التي تمر بها الدول العربية.

ثانيا: الفلسفة و العلم

تبين لنا فيما تقدم أن مفهوم الفلسفة متعدد، ويختلف من عصر إلى آخر، في مقابل العلم الذي اخذ يتبلور ويأخذ صورة موحدة لدى العلماء منذ أن شرع الانفصال عن الفلسفة في القرن السابع عشر للميلاد، و قبل ذلك يحتوي على الكثير من اللبس لتداخله مع فروع معرفية كثيرة مثل الدين و الفن. و كانت كلمة **علم** في الغرب تدل على المعرفة بشكل ثم بدأ التمييز بين المعرفة النظرية والمعرفة العملية. و في اللغة العربية فإن الجرجاني يعرف **العلم** بأنه الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، أو هو إدراك الشيء على ما هو به. و ظل العلم جزء من الفلسفة لقرون عديدة إلى أن حل القرن السابع عشر فأخذ في الانفصال عنها تباعا و أصبح في الإمكان تمييزه عن الفلسفة.

العلم :

إن العلم سواء كان عقليا أم تجريبيا فانه يعتمد على منهج موحد، و النتائج التي يصل إليها تلقى القبول من طرف علماء ذلك العصر، وتظل صحيحة إلى أن يثبت العكس، و يركز العلم بالدرجة الأولى على كشف عن العلاقات بين الظواهر الطبيعية، دون أن يتعداها إلى ما وراءها من البحث في طبيعتها و مصدرها و مآلها، مكتفيا بالبحث الأسباب القريبة و الأسباب الفاعلة، أما الأسباب المادية و الصورية و الغائية التي ذكرها من قبل أرسطو فهي أهداف لا تفيد العلم في شيء.

و يفترض العلماء وجود الأشياء و المدركات العقلية أو القضايا الأولية التي تستخدم للدلالة عليها دون أن يعبأ بما إذا كانت هذه الأشياء موجودة حقا، أو ما إذا كانت المعاني التي تدل عليها صحيحة، فالفيزيائي مثلا ينطلق من تسليمه المادة ووجود مجموعة من المبادئ مثل مبدأ الهوية و مبدأ عدم التناقض . و في علم الهندسة يفترض عالم الرياضيات وجود المكان و يسلم بطائفة من المعاني يسميها مصادرات ثم يشرع في بناء نسقه الهندسي.

الفلسفة:

في حين الفلسفة تعتمد على التفكير و النظر العقلي المحض، و تدرس العالم في كلياته لا في جزئياته، أو تدرس الوجود في شموله و اتساعه بصرف النظر عن أن يكون هذا الشيء

إنسانا أو حيوانا أو نباتا أو جمادا، و ليس بين العلوم جميعا علم يتصدى لدراسة الكون مجملا إلا الفلسفة. وإذا كان العلم وصفيا تقريريا، فإن الفلسفة تتجاوز التقرير إلى التفسير، وإذا كان العلم ينحصر في بحث الظواهر فإن الفلسفة تهتم بما وراع الظواهر، و تبحث في حقائق الأشياء و علة وجودها و الغاية منها، وإذا كان تجاهل الماضي ممكنا في العلم خاصة لدى من يقول بالقطيعة مع المعارف السابقة، فإن ذلك متعذر في الفلسفة . إن تاريخ العلم هو شيء آخر غير العلم، إنه الجزء الفاني من العلم، انه الخطوات التي تتعثر قبل الوصول إلى الحقيقة العلمية، وسيلفها النسيان بمجرد وصول العالم إلى ما كان يبحث عنه. أما تاريخ الفلسفة فإنه مستمر، و الدليل على هذا أن المشاكل الرئيسية التي أثارها الإغريق قبل الميلاد لا تزال تثار اليوم بعد عشرين قرنا من الميلاد، بموضوعاتها و أمهات المسائل فيها، وان تغيرت طرق معالجتها و الحلول التي توضع لها.

إن **طبيعة العلم** أشبه بالبناء الذي يشيد طابقا فوق طابق، إلا أن سكان هذا البناء (العلماء) ينتقلون دوما إلى الطابق الأعلى بمجرد الانتهاء منه، تاركين الطوابق السفلى لتكون مجرد أساس يرتكز عليه البناء. في حين كل مذهب جديد في الفلسفة، نجده في الغالب لا يبدأ من حيث انتهت المذاهب السابقة و في الحقيقة هذه الصفة بدأت تتراجع في الفلسفة المعاصرة، بل ينتقد من سبقه ويتخذ لنفسه نقطة بداية جديدة . و إذا كان سكان بناء العلم ينتقلون إلى الطابق الأعلى دائما، فإن سكان البناء الفلسفي لا يتركون طوابقه القديمة، بل يظلون مقيمين فيه مهما ظهرت لهم طوابق جديدة. والمشتغلون بالفلسفة يجدون في تياراتها القديمة أهمية لا تقل عن أهمية التيارات الحديثة، ومن ثم تظل موضوعا دائما لدراستهم. أما المعرفة العلمية فكل نظرية علمية جديدة تحل محل النظرية العلمية القديمة، و النظرية العلمية القديمة تصبح مجرد معلومة تاريخية تهم مؤرخي العلم فقط.